كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم:الفلسفة

عنوان البحث:الحقيقة الدينية وتمظهراتها بين فريدريك نتشه ومرسيا إلياد

الطالب:دلوم هشام **المشرف:عبد الرزاق بلعقروز**

المقدمة

اعتقد الإنسان منذ بداياته الأولى بوجود عالم مفارق لوجوده الدنيوي ، وتصور على أن هذا العالم الفوقي المفارق،هو المسيطر على مصيره و على وجوده ؛ فعمد ذلك الإنسان إلى إضفاء كل مظاهر القداسة و السُمو و التقدير لذلك العالم ، و اجتهد ذلك الإنسان إلى بناء مسالك تكون بمثابة المنافذ للاتصال بذلك العالم الفوقي العلوي ، فاستند للأساطير و الطقوس و الرموز والقرابين؛ طمعا في النهل من قداسته و الاحتماء بقوته ؛ و العيش بفعاليته ،و الاستبصار بتجلياته ، أو في شكل وحي ديني حسب الأديان .

في ضوء فعل المحايثة و محاولة العيش في كنف ذلك الفوقي ، و مع تزايد منظومة التواصل معه، تبلور " المقدس "و الذي هو وليد حتمي لطبيعة علاقة البشر مع ذلك العالم العلوي ، فتم الاعتقاد أن المقدس ليس صفة ثابتة في الأشياء ؛ بل تم وصفه على أنه هبة سرية تخلع على ما تستقر عليه سحرا و جلالا ، فتكون النتيجة : الدَهشة و الشغف و الرهبة و الخوف لكينونته،لهذا تم نعت المقدس على أنه قوة من العتوّ و الخفاء ، و لا يقبل الترويض و لا التجزئة ، و في ظل هذه المعطيات كان على الإنسان : الشعور بالرهبة اتجاهه ؛ طمعا في خيره ، أو خوفا من عقابه.

وأقام الإنسان آلية تتولى تنظيم علاقته مع المقدس ، و في الغالب ظهرت هذه الآلية في فعل الطقوس، مع الاستناد إلى الرموز كمسلك و الأسطورة كأداة.

إن قوة المقدس التي مارسها على ذهنية العقل البشري في رحلته المعرفية ، كانت طويلة وأقل ما يوصف بها ، بأنها كانت بليغة التأثير ، و استمرت حقبة زمنية لا تعد بالسنوات ، بل ومازالت على حد وصف كثير من المشتغلين في هذا الحقل إلى يومنا هذا و في كثير من المجتمعات، لكن ومع تقدم الذهنية البشرية و مع مرور فترات عصيبة على التركيبة الذهنية للإنسان ؛ أخذت معالم الفكر البشري تتغير نتيجة عدة عوامل ؛ فكان من نتيجة هذا التقدم بروز أنماط معرفية جديدة تفهم الكون الذي يعيش فيه الإنسان من جهة مخالفة ، بين منطقية و موضوعية و واقعية و علمية وقد استعانت هذه الأنماط بالدنيوي من خلال توسيعه و إعطائه مكانة الريادة ، مع محاربة المقدس والتضييق عليه ، فتغير مسعى الكائن البشري الذي كان عنوانه محاكاة المقدس و الاحتذاء بحذوه وصار المسعى مغايرا تماما ؛ فأصبح تطور أمة مرهون بمدى ابتعادها عن المقدس.

وفي ظل هذا السياق العام تندرج مقاربة **" مرسيا إلياد "** الفلسفية الدينية حول فكرة القداسة وعلاقتها بالإنسان ، خاصة و أن أبحاث " مرسيا إلياد " جاءت في حقبة زمنية وصفت بأنها منزوعة القداسة ، و هذا الغياب للقداسة كان قد شمل كل مظاهر الحياة ، بل تعدى هذا الانسلاخ عن القداسة إلى الرؤية إلى العالم و أنماط المعرفة ومنظومة القيم ،

إن " مرسيا الياد " لم يؤرخ لفكرة المقدس بقدر ما قدم قراءة للآثار التي تتركها أفعال السالبين للقداسة في حياة البشر ؛ خاصة بعد تعالي الأصوات المنادية بإعادة وجودية الإنسان، الذي أصبح يعيش في اغتراب عن ذاته؛ نتيجة طغيان كومة المادية و الآلية المنتشرة في عالم الإنسان الحديث.

وفي غمرة هذا الوضع كان الاهتمام بالمقدس ، و فكرة القداسة و علاقتها بالإنسان يزداد تقدما و اتساعا ، و بالأخص مع موجة الانتقادات التي وجهت للعلوم الإنسانية التي لم تكن في مستوى تطلعات المجتمع العلمي .

أما عن **" فريدريك نتشه "** فقد اندرج ضمن نطاق الرؤى الرافضة للمسعى الديني ، معتبرا أن مقولة المقدس قد تهاوت و أنه تم إعلان موتها ، ور حلة نتشه للمقاربات الدينية و المقدسة ، هي رحلة نقدية محضة ، معتبرا أن قائمة على تصورات بالية ، معتبرا أن المؤسسات التي نبع منها هي مؤسسات خناقة للتطور و للبحث العلمي ،

إن نتشه يعلن ثورة ضد المقدسات ، معتبرا أن ميلادها كان نتيجة الحاجة و الخوف ، التي كابدها الإنسان و المهمشين في المجتمع ، لهذا آمن بأن فكرة المقدس تغلغلت داخل كينونة هذه الطبقات الضعيفة فقط ، و أكثر من ذلك اعتبر " نتشه " أن المقدس قد انسل للوجود من خلال سبل العقل التائه.

إن مسعى " نتشه " المهدم للمقدس، كان محور هام و لا يزال يحدث جدل داخل الأوساط العلمية المختلفة، وما يزال لحد كتابتنا لهذه السطور حلقة نقاش واسعة.

الإشكالية:

أما عن إشكالية الدراسة فهي تتناول مسألة المقدس في الثقافة الإنسانية من ناحية ضرورة الحضور أو ضرورة الغياب و السلب ، و نحاول في هذه الدراسة الكشف عن مدى فعالية الدراسات حول الدين و مساهمتها في كشف عن زوايا من حقيقة الإنسان وفهمه، بألية قد تكون مساعدة لمساعي العلوم الإنسانية اليوم أو متجاوزة لها ، و تنطلق محاولتنا من تقديم رؤية شاملة حول الدين من حيث ماهيته و مكانته ، وصولا إلى الأبحاث الدائرة حوله و ميكانزمات حضوره وتداعياته المختلفة و مستقبل الدراسات حوله ، و أهمية و فعالية هذه الدراسات في تقديم صورة أوضح حول الإنسان ، و يتمركز السؤال الجوهري لإشكالية هذه الدراسة في الإشكال التالي :

كيف يمكن للدين أن يكشف لنا عن حقيقة الوجود الإنساني من منظور مرسيا الياد ، و كيف هو السالب لحقيقة الإنسان ، و المعطل لميلاد الإنسان الراقي من منظور فريدريك نتشه ؟.

المنهج:

لتحقيق مسعانا وضعنا سلسلة لأهم مصادر البحث ، و نصوصه الأساسية معتمدين منهجا مقارنا تحليليا يقوم على تصور الإشكالية ، ثم وضعها في إطارها المعرفي ، ثم قمنا بتّحين تلك الإشكالية بين ماضيها وحاضرها ، ؛ حتى يتسنى لنا تقديم قراءة مهذبة لفكر "مرسيا إلياد" و " فريدريك نتشه " في إطار فكري معاصر

الأهداف والأهمية:

إن القراءة الفكرية و المنهجية التي قدمها " مرسيا إلياد " حول علاقة الإنسان بالمقدس، والآثار الناجمة على سلخ هذه العلاقة ؛ لهي دليل قطعي على مدى تعمقه في ثنايا هذا الحقل، ناهيك عن المسلك الذي قدمه لإعادة قراءة حقيقة و فعالة لفكرة المقدس ، و آليات إعادة بناءها في واقع الإنسان الحديث ؛ تؤكد مدى أهمية فكره في الفترة الراهنة ، كما أن إن مسعى " نتشه " المهدم للمقدس ، لا يزال يُحدث جدلا واسعا على مستوى الساحة المعرفية و العلمية .

ومن هذه التصورات، تنبع أهمية الموضوع المدروس، و يمكن إبراز هذه الأهمية في ما يلي:

تسليط الضوء على المقاربات الفلسفية الدينية حول علاقة الإنسان بالمقدس، سواء في شقها المتغني بها أو الرافض لهذه العلاقة.

يقف هذا البحث على واقع الآليات التي استند إليها "مرسيا الياد" في بناء مقاربته المؤيدة للمقدس ، و آلية " نتشه " المهدمة له .

يكشف هذا العمل عن مدى فعالية أبحاث " مرسيا إلياد "، و مدى صرامة حلوله و نجاعتها ، و مدى " منطقية أبحاث نتشه : و مدى نسبة التعاطي معها .

محاولة تقديم للقارئ الجامعي و المشتغل في حقل الفلسفة و للمثقف ، نموذجين غربيين ، أحدهما مؤيد للمقدس و آخر مهدم ؛ في جو فكري جدلي معمق يتخذ من الموضوعية شعارا ، كما أن هذا الموضوع يقدم نموذج " مرسيا الياد " الذي لم يتجذر فكره في الأبحاث العربية بالصورة المطلوبة .

أهمية الموضوع أيضا، تعكسها سلسلة الإصدارات و البحوث الأكاديمية المقدمة والتي تحاكي حقل المقدس من ناحية علاقة المقدس بالإنسان و وجوده ومستقبله.

يبرز هذا البحث مدى فعالية المقدس في ذاته و صور تبلوره، و صيغ التعاطي معه فضلا عن أهميته و آثار الابتعاد عنه، هذا عن أهمية البحث.

آفاق البحث:

أن: الإنسان الحديث بحاجة ماسة إلى إعادة قراءة علاقته بالقداسة ، خاصة و أنها تحمل بين طياتها حقائق كثيرة عن الذات البشرية ، و يمكن الاستناد والاستثمار فيها ، من أجل بناء صورة واضحة لمستقبل إنساني يكون خالي من مظاهر التياهان والهلاك للبشر ، و كذا استنباط الإجابات عن الأسئلة المصيرية التي يطرحها الإنسان الحديث ، كما أن الرفض العشوائي للمحاولات الهادمة للمقدس بطريقة لا تمت بصلة لروح البحث العلمي ، من شأنها أن تنشأ جيلا دوغماطقيا متعصبا ، لذا لا بد من التعاطي مع مختلف التوجهات .كما أن الأزمة التي تعيشها العلوم الإنسانية و الجدل الحاصل حول قيمة نتائجها ، فتح المجال لإثراء البحث عن حقيقة الكائن البشري من وجهات أخرى غير نسقه السسيوثقافي والسيكولوجي ، و لعل أبحاث " مرسيا إلياد " " و نتشه " في فهم الإنسان و تصور مستقبله ، تفرض نفسها في هذه الزاوية .

المراجع:

يرتشياإلياده ، **البحث عن التاريخ و المعنى في الدين** ، ترجمة و تقديم سعود المولى بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 2007 .

مرسيا الياد ، **المقدس و المدنس** ، ترجمة عبد الهادي عباس ، دمشق : دار دمشق للطباعة و النشر و التوزيع ، 1988.

مرسيا الياد ، **مظاهر الأسطورة** ، ترجمة نهاد خياطة ، دمشق : دار كنعان للدراسات و النشر ، 1991.

مرسيا إلياد ، **أسطورة العود الأبدي** ، ترجمة نهاد خياطة ، دمشق : دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، 1987.

فريدريك نتشه ، **الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي** ، ترجمة سهيل القش ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، 1981

فريديريك نتشه ، **إنسان مفرط في إنسانيته** ، الجزء و الأول و الثاني ، ترجمة محمد الناجي ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، بيروت ، 1998.

Nietzsche (f) ،**la volonté de puissance** . tard par . Henri Albert . librairie générale française paris . 1991.

ميشال مسلان ، **علم الأديان : مساهمة في التأسيس** ، ترجمة عز الدين عناية : بيروت : المركز الثقافي العربي ، 2009.

روجيه كايوا ، **الإنسان و المقدس** ، ترجمة سميرة ريشا ، مراجعة جورج سليمان ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2010 .

كليفوردغيرتز ، **تأويل الثقافات** ، ترجمة محمد بدوي ، مراجعة الأب بولس وهبة ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية، 2002.

فراس السواح ، **دين الإنسان : بحث في ماهية الدين و منشأ الدافع الديني** ، دمشق : دار علاء الدين للنشر و التوزيع والترجمة ، 2002.

نور الدين زاهي، **المقدس و المجتمع**، المغرب:دار إفريقيا الشرق، 2011.

عبد الله الخريجي ، **علم الاجتماع الديني** ، جدة : ملتزم التوزيع رامتان ، 1990.

حسن حنفي، **تطور الفكر الديني الغربي: الأسس و التطبيقات** ، دار الهادي ، ط1 ، 2004